

## العوامل النفسية والاجتماعية للتهرب الضريبي: دراسة مفاهيمية

د. لراي سفيان

### ج/ البلدية 2

#### الملخص:

تشكل الإيرادات الضريبية أكبر وأهم مصدر للحكومة في الكثير من الدول. لكن نظرا لغياب الامتثال الضريبي الشامل، ميزانية الدول غالبا ما تحقق التوازن، والفرق بين الإيرادات والنفقات في تصاعد مستمر. لذلك، التهرب الضريبي هو أكبر التحديات الحالية للإدارة الضريبية. لذا تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مختلف العوامل النفسية والاجتماعية الممكنة التي تدفع بالمكلف إلى التهرب الضريبي. وبالاستناد إلى بعض الدراسات السابقة في المجال، توصلت هذه الدراسة إلى تحديد سبعة محددات نفسية واجتماعية، وهي: الوعي الضريبي، المعرفة الضريبية، الإنصاف الضريبي، الأخلاق الضريبية، تعقيد النظام الضريبي، تأثير الجماعة المرجعية، والتوجه الثقافي.

**الكلمات المفتاحية:** التهرب الضريبي ; الامتثال الضريبي ; الوعي الضريبي ; الأخلاق الضريبية ; الإنصاف الضريبي ; الثقافة الفردية والجماعية ;

#### Abstract

Tax revenues are major and important income sources for governments in most countries. But, due to the lack of full tax compliance, governments budgets are rarely balanced, and the gap between revenue and spending is increasing. The tax evasion is the most challenged issue to tax administration.

The aim of this study is to highlight the most important social and psychological factors that contribute to tax non-compliance. By exploring the literature in this field, this study identifies seven key determinants to tax evasion: tax awareness, tax knowledge, tax fairness, tax moral, perceived tax complexity, peer influence, individualism/collectivism oriented culture.

**Key words :** tax evasion ; tax awareness ; tax moral ; tax fairness ; culture oriented.

### المقدمة:

تشكل الضرائب بمختلف أنواعها المصدر الرئيسي للخرينة العمومية التي تسهر الدولة لإنفاقها في الأوجه الملائمة من المشاريع التنموية والخدمات الإجتماعية، ولهذا تسعى الدولة إلى تحصيل الضرائب من مختلف مصادرها وفقا للقوانين والنصوص التشريعية التي تنظم النشاط الضريبي. كذلك، تعتبر الضريبة من أدوات السياسة المالية التي تسعى من خلالها الدولة الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي ودفع عجلة التنمية. لكن من الملاحظ أنه يوجد بعض المكلفين بالضريبة لا يدفعون جزء أو كل من التزاماتهم الضريبية، ويلجؤون إلى تلاعبات معينة للتخلص من هذه الالتزامات، وهذا ما يطلق عليه بظاهرة التهرب الضريبي.

إحدى التحديات التي تواجهها الإدارة الضريبية حاليا هي معالجة التهرب الضريبي الذي أضحى يشكل إحدى معوقات التنمية الاقتصادية، فهي تؤثر سلبا على مختلف السياسات الاقتصادية للدولة، وحتى على سياستها الإجتماعية. حتى وإن كانت الضريبة واجب دستوري، إلا أنه يوجد بعض المعنيين بدفع الضرائب لا يدفعونها، ويستعملون طرق مختلفة لتجن دفعها،

وهذه الظاهرة ليست حديثة العهد، ولا تقتصر على بلد دون آخر، فقط هي تتفاوت من سنة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر.

نظرا لأهمية القضية التهرب الضريبي وأثارها السلبية على الاقتصاد الوطني، سعى الباحثون إلى فهم أسباب تفاقمه ومحاولة اقتراح الحلول الملائمة للحد منها، لكن القليل من الدراسات التي تعالج التهرب الضريبي من الزاوية النفسية والاجتماعية للفرد بصفة منفردة، لأنه يوجد افتراض أساسي لدى بعض المكلفين بالضريبة مفاده هو أن: هذه الضرائب تعتبر من وجهة نظر المكلف عبئا تثقل كاهله، وعلى هذا جاءت هذه الدراسة لجمع ما تفرق من المتغيرات ذات الطابع النفسي والاجتماعي المؤثرة في قرار دفع التزامات المكلف بالضريبة.

في إطار تطور نماذج اتخاذ القرار الضريبي، تشير الدراسات إلى أنه توجد أسباب عديدة تجعل المكلف بالضريبة يتملص من دفعها باستعمال طرق تدليسية، وغالبا ما يتم تصنيفها إلى عوامل مباشرة تتخذ الطابع الاقتصادي وفعالية الإدارة والتشريع الضريبيين، وعوامل غير مباشرة تتخذ الطابع غير الإقتصادي وتفسر بالجوانب النفسية والاجتماعية والديمغرافية.

وفي هذا الصدد يستدل Molero و Pujol (2011) أن النماذج التقليدية للتهرب الضريبي تركز بصفة أساسية على العوامل الإقتصادية وتجاهلت من جهتها وجهة نظر واسعة تتضمن السلوكيات الإنسانية، لذا لفهم ظاهرة التهرب الضريبي يجب إدماج العوامل الإقتصادية غير الإقتصادية معا<sup>1</sup>. في دراسة قبلها، استندت إلى بيانات مجمعة من 45 دولة مختلفة، تبين إحصائيا أن المحددات غير الإقتصادية تحدث أكبر تأثير على التهرب الضريبي من غيرها من المحددات الإقتصادية<sup>2</sup>.

لذا نحن في هذه الدراسة سنركز على العوامل النفسية والاجتماعية للتهرب أو الامتثال الضريبي، ومن هنا تأتي إشكالية الدراسة على النحو التالي:

## ماهي أهم العوامل النفسية والاجتماعية التي تجعل المكلف بالضريبة لا يمتثل للالتزاماته؟

تهدف الدراسة إلى الوقوف على ظاهرة التهرب الضريبي وتحديد مختلف العوامل ذات الطبيعة السلوكية والمرتبطة بالمكلف بالضريبة التي تؤدي إلى هذه الظاهرة السلبية.

لاستقاء الدراسة لجميع جوانبها وضع الباحث الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هو التهرب الضريبي؟
  - ما هي أهم المحددات النفسية والاجتماعية المؤثرة في التهرب؟
- لإنجاز الدراسة اتبعنا المنهج الاستقرائي بالاعتماد على دراسة مكتبية تسمح لنا بجمع وتحديد أهم المعوقات النفسية التي تحول دون دفع المكلف للالتزاماته الضريبية.

ولإتمام الدراسة قمنا بوضع الخطة التالية:

- التهرب الضريبي وآثاره
- العوامل النفسية والاجتماعية للتهرب الضريبي
- الاستنتاجات والتوصيات

### **1. التهرب الضريبي وآثاره**

#### **1.1. تعريف التهرب الضريبي**

للدراسات المتخصصة في التهرب الضريبي عدة تعاريف، فقد عرفها خالد الخطيب (2000) على أساس أنها "عدم إقرار المكلف بواجبه بدفع الضريبة المترتبة عليه سواء من خلال عدم تقديم البيانات اللازمة طبقاً للقوانين أو تقديم بيانات مضللة وغير كاملة للدوائر المالية"<sup>3</sup>، وعرفها كذلك علي زغودود (2005) بأنها "تلك المخالفات القانونية المتمثلة في عدم الامتثال

للتشريع الضريبي أو الثغرات الموجودة في القانون من أجل التخلص من أداء الواجب الضريبي بجميع الوسائل والأشكال سواء تعلق الأمر بالعمليات المحاسبية أو الحركات المادية، وذلك بكل أو بجزء من المبلغ الواجب الدفع للخزينة العمومية"<sup>4</sup>.

وفي مقابل التهرب الضريبي يوجد مفهوم الامتثال الضريبي، هو "استعداد الفرد للتصرف بموجب الروح والنص القانونيين للإدارة الضريبية بغير أن يمارس عليه أي نوع من الضغط"، نقول المكلف بالضريبة يمتثل عندما يدفع التزاماته كاملة وفي الوقت المناسب.

يمكن القول أن التهرب الضريبي هو مقاومة الضريبة، أي أنه عبارة عن سلوك موجه نحو التخلص من دفع الضرائب وعدم الامتثال للالتزامات، وذلك باستعمال عدة طرق احتيالية، مشروعة أو غير مشروعة.

## 2.1. أنواع التهرب الضريبي

يمكن أن التمييز بين نوعين من التهرب الضريبي، وهما مفهومين متجاورين وفي مدلولهما مختلفين، وهما: الغش الضريبي، والتجنب الضريبي.

◆ **الغش الضريبي:** الغش الضريبي هو خرق عمدي للقانون للتخلص من دفع الالتزامات الضريبية، مثل تقديم تصريحات غير مطابقة لواقع النشاط، كاذبة كانت أم ناقصة، كذلك تضخيم الأعباء لتقليل حجم الأرباح ومن ثم تقليل الضرائب، وهذا سلوك غير مشروع، لأنه تهرب عن طريق التحايل المادي، وغالبا هذا ما يقصد به بالتهرب الضريبي عند الحديث عن الموضوع، لكن يوجد نوع آخر من التهرب الضريبي.

◆ **التجنب الضريبي:** وهو استغلال الثغرات الموجودة في النصوص القانونية للتخلص من بعض أو كل العناصر الضريبية، وهو أرقى تقنية للتهرب الضريبي، مثل توزيع الأرباح على الشركاء لتجنب

الضريبة على أرباح الشركات، فلا يوجد العنصر الشرعي لاعتبار هذه الواقعة الضريبية جريمة من الناحية الجنائية. يظهر التجنب الضريبي كسلوك مشروع، لأنه تهرب عن طريق التحايل القانوني.

يكن إدراك الفرق بين التجنب الضريبي والغش الضريبي في كون الأول يستند إليه باستغلال الفجوات والثغرات القانونية الموجودة في التشريع، ولا مسؤولية للمكلف بالضريبة أمام القانون، لذا من الناحية القانونية هو سلوك مشروع. بينما الغش الضريبي هو سلوك يحدث بصفة مقصودة، وذلك باللجوء إلى طرق التزوير أو التدليس، ويكون المكلف بالضريبة مسؤولاً أمام القانون، وفي حالة اكتشافه يعاقب عليه القانون.

### 3.1. آثار التهرب الضريبي

يمكن فهم آثار التهرب الضريبي من خلال فهم أهداف الضريبية. إن التهرب الضريبي بأنواعه المختلفة يترتب عنه آثارا اقتصادية واجتماعية ونفسية سلبية، وتتمثل هذه الآثار في انخفاض الحصيلة الضريبية، وحرمان الدولة من نسبة مهمة من الإيرادات التي تمارس الدولة من خلالها أدوارها الاقتصادية والاجتماعية<sup>6</sup>. ويشير الباحث ناصر مراد (2003) في إطار طرحه لمشكلة نجاعة الإصلاحات الضريبية أن ضعف الاقطاعات الضريبية -التي تخفض من الضغط الضريبي- مردها ليس فقط إلى ضعف الدخل وإنما أيضا إلى التهرب الضريبي<sup>7</sup>.

عند انتشار ظاهرة التهرب الضريبي لا يمكن تحقيق أهداف الضريبية، وعلى هذا يعد التهرب الضريبي من الجرائم ذات الطبيعة الاقتصادية. هذه الظاهرة تنعكس سلبيًا على الاقتصاد الوطني ككل، بسبب تدني الإيرادات الضريبية للدولة من جهة، ومن جهة أخرى يؤدي إلى تقادم ظاهرة أخرى وهي الإخلال بالإنصاف الضريبي، أي يؤدي إلى إدراك اللامساواة القائمة بين بعض المكلفين بالضريبة؛ لأنه يدفع الممثلين الضريبة المطلوبة منهم، بينما تلجأ الفئات الأخرى إلى التملص من دفع التزاماتهم.

ضف إلى ذلك، التهرب الضريبي لفئة معينة يجعل الفئات الأخرى أيضا بدورها لا تمتثل أمام التزاماتها الضريبية بفعل المحاكات الاجتماعية، وبفعل شعورهم بعدم الثقة في الإدارة الضريبية، وهكذا تتفاقم الظاهرة حتى تصبح أكبر معوق تواجهه الدول لتوفير الإيرادات التي من خلالها تقدم خدمات اجتماعية.

يؤدي التهرب الضريبي المشروع وغير المشروع بالدولة إلى رفع نسبة الضرائب لتغطية العجز الذي تعاني منه بسبب ضعف التحصيل الضريبي، وهذه النسبة الإضافية تصبح عبئ إضافي على الملتزمين الأمانة من المواطنين ولا يمكن أن يتحملوه.

ونظر لآثار السلبية ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي التي تنجر من عدم الامتثال الضريبي كان لزاما على الباحثين التعمق في ثنايا هذه الظاهرة السلبية، بالسعي إلى تحديد أهم المحددات التي تؤثر على سلوك التهرب الضريبي.

## 2. العوامل النفسية والاجتماعية للتهرب الضريبي

بصفة عامة، إن للتهرب الضريبي أسبابا كثيرة ومتعددة، تختلف باختلاف التشريعات المالية وباختلاف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلدان، وفي هذا الصدد غالبا ما تقف الأسباب النفسية والاجتماعية للتهرب الضريبي في الوعي الضريبي، لكنه في الواقع توجد عدة عوامل نفسية واجتماعية أخرى -بينتها الأدبيات المتقدمة في المجال- تؤدي دورا كبير في رفع وخفض مستويات التهرب الضريبي.

بالاعتماد على بعض أهم الأدبيات العالمية المتخصصة في مجال التهرب الضريبي، يمكن حصر أهم العوامل النفسية والاجتماعية التي تعد بمثابة محددات التهرب الضريبي في: الوعي الضريبي، المعرفة الضريبية،

الإنصاف الضريبي، الأخلاق الضريبية، تعقيد النظام الضريبي، تأثير الجماعة المرجعية، والتوجه الثقافي.

## 1.2. الوعي الضريبي

يعد الوعي الضريبي من أهم محددات التهرب الضريبي. ويقصد بالوعي الضريبي مدى إدراك المكلف بالضريبة مشروعية وأهمية دفع الضرائب للدولة. يدرك المكلف بالضريبة المشروعية عندما يعتقد أن الضرائب تُأخذ على أساس قواعد العدالة ذات البعد العالمي، وأما إدراك الأهمية فهي عندما يعتقد المكلف بالضريبة أن الضرائب التي تجمعها الدولة تنفق في الأوجه الملائمة. يعرف الوعي الضريبي أيضا على أساس أنه الإدراك الكامل من قبل الأفراد لمسؤولياتهم المالية إزاء المجتمع<sup>8</sup>.

فكلما كان المكلف بالضريبة واعيا بمشروعية وأولية دفع الضرائب كلما التزم بدفعها للجهات المعنية. وهذا ما أشارت إليه دراسة سلم محمد عبود وزميله عروبة معين عايش في 2008، حيث يران أن هناك علاقة بين الوعي الضريبي وزيادة حجم التهرب الضريبي<sup>9</sup>.

## 2.2. المعرفة الضريبية

المعرفة الضريبية أو المستوى التعليمي للمكلف بالضريبة هو محدد أساسي للتهرب الضريبي. ويقصد بالمعرفة الضريبية مجموعة المعلومات التي يعرفها المكلف بالضريبة حول طريقة حساب ودفع وتقديم تقرير عن ضرائبه. والمعرفة الضريبية هي عنصر هام للامتثال الضريبي، خاصة في ما يتعلق بالمسؤولية الضريبية التي تعتمد على التصريح الذاتي. باستعمال البحث النوعي، دراسة Saad (2013) تثبت أن معرفة المكلف بالضريبة حول جميع الجوانب التقنية للضرائب يساهم في رفع نسبة الامتثال الضريبي، وفي المقابل، غياب المعرفة الضريبية لدى المكلف بالضريبة تقوده إلى عدم الامتثال الضريبي، بطريقة مقصودة أو غير مقصودة<sup>10</sup>.



وحسب Jackson و Milliron (1986) المعرفة الضريبية تشمل على عنصرين: المستوى العام للمعرفة الضريبية، والمستوى الخاص المرتبط بمعرفة فرص التهرب الضريبي، نفس الدراسة تثبت أن ارتفاع المستوى العام للمعرفة الضريبية يؤدي إلى ارتفاع الامتثال الضريبي، بينما المعرفة الخاصة بفرص التهرب الضريبي لها علاقة سلبية مع الامتثال الضريبي<sup>11</sup>.

### 3.2. الإنصاف الضريبي

عدم الرضا بالعدالة القائمة في النظام الضريبي يشكل للمكلفين دافعا وجيها للتهرب الضريبي. يستعد الأفراد لدفع التزاماتهم الضريبية عندما يرون أن السلطات الضريبية تعمل على أساس مبدأ العدالة الضريبية. ويدرك المكلف بالضريبة عدم الإنصاف عندما يدرك الأفراد الخاضعين للضريبة أن النظام الضريبي يعمل على تحميل الأفراد الأعباء الضريبية بإفراط بالمقارنة مع قيمة الخدمات التي يتلقاها من الحكومة أو بالمقارنة مع ما يدفعه الآخرون أمثاله.

يثير متغير الإنصاف الضريبي على الأقل نظريتين: نظرية معالجة النتائج (equity theory)، ونظرية الإنصاف (Outcome-processing theory).

من جهة، تفيد النظرية الأولى (نظرية معالجة النتائج) أن الفرد يتصرف وفقا للأداء الذي يتوقعه من تصرفاته، فالنتائج التي ينتظرها هي التي تحدد طريقة تصرفاته، وهذا ما يتجانس مع بعض النظريات الكلاسيكية مثل نظرية المنفعة المتوقعة والاختيار العقلاني وحتى مع نظرية التبادل، فالمكلف بالضريبة يتوقع من دفعه للضريبة الحصول على خدمات عمومية ذات جودة، فهو يتنازل عن جزء من ثروته مقابل الحصول على خدمات عمومية مقبولة، وكلما كان إدراك أداء الخدمات المستلمة أقل من العبء الضريبي، كلما لجأ إلى سبل التملص من دفع التزاماته الضريبية، سواء بطريقة مشروعة أو غير مشروعة، ذلك لأن المنفعة أو القيمة المدركة ضعيفة.

ومن جهة أخرى، تفيد النظرية الثانية (نظرية الإنصاف)، أن الأفراد يقارنون بطريقة ذاتية ما يستقبلونه مع ما يستقبله الآخرون، ويتحدد سلوكهم وفقاً لهذه المقارنة، فإذا كان المكلف بالضريبة الذي يدرك أن الآخرين يدفعون أقل مما يدفعه هو، فيلجأ تلقائياً إلى سبل تقاضي دفع الضرائب، لأن غياب العدالة والمساواة يؤدي إلى الشعور بالظلم لدى المكلف الذي يتخذه دافعاً للتهرب. ولأنه يدفع الممثلين الضريبة المطلوبة منهم بينما تلجأ بعض الفئات الأخرى إلى تقاضي دفع التزاماتهم بطرق ما، فإن هذا يؤدي إلى إدراك بعض المكلفين بالضريبة للاعْدالة واللامساواة القائمة بينهم.

عندما تقدم امتيازات ضريبية لفئة معينة دون أخرى فيشعر الذي يمثل للضريبة أنه هو الذي يساهم في نفقات تلك الفئة المستفيدة من الامتيازات، وهذا الشعور له أثر كبير على محاولة التهرب من الضرائب. الإنصاف الضريبي يجعل جميع أفراد المجتمع المعنيين يساهمون بصفة كلية في النفقات العمومية، وهذا هو الهدف الأمثل لأي نظام ضريبي.

وفي هذا الشأن، تفيد دراسة Jackson و Milliron (1986) أن الإنصاف الضريبي له علاقة سلبية مع التهرب الضريبي، فكلما ارتفع مستوى إدراك الأفراد للعدالة قائمة في النظام الضريبي كلما انخفض مستوى التهرب الضريبي. نفس العلاقة تثبتها دراسة Richardson (2006)، وهذه النتيجة تم التوصل إليها بعد دراسة العديد من الدول، وجدير بالذكر أنه يعد العامل الوحيد الذي يحمل وزن كبير في تفسير التهرب الضريبي، حيث وصل الارتباط (سلبى) بين الإنصاف الضريبي والتهرب الضريبي إلى (-0.72).

## 4.2. الأخلاقية الضريبية

تعتبر الأخلاق أكبر محددات السلوكيات المنحرفة مثل الغش والتفادي الضريبي<sup>12</sup>. الإتجاهات الأخلاقية واحد من المحددات الأساسية للتهرب الضريبي، وهو مفهوم واسع جداً لما يحتويه من جوانب متعددة، نفسية واجتماعية ودينية وغيرها. ويقصد بالأخلاق بصفة عامة الأنظمة المعيارية

لقواعد السير الخاصة بمجتمع ما، وهي التي تحدد ما هو السلوك المقبول وما هو السلوك المرفوض في ذلك المجتمع، ووظيفتها تعديل أو تغيير السلوك الإنساني. وأما الأخلاق الضريبية فيقصد بها المبادئ الأخلاقية أو القيم الشخصية التي يملكها الفرد بشأن دفع الضرائب<sup>13</sup>.

ويجدر الذكر أن ليس لكل الأفراد نفس القيم الأخلاقية، وبالتالي لا يؤولون التهرب الضريبي بنفس المعنى، ولهذا الإختيار بين التهرب الضريبي والامتثال الضريبي لا يعتمد على معيار العقاب فقط، لكن أيضا على مجموعة من الإتجاهات والقيم الأخلاقية مثل الشعور بالخطأ وبالذنب.

حسب عامل الأخلاق، الفرد يتخذ قرار على أساس القيم الإجتماعية، فهل السلوك التهرب الضريبي يعتبر سلوكا معياريا ومقبولا في ذلك المجتمع أم سلوكا منحرفا غير مقبول. في هذا الشأن، على غرار الكثير من الدراسات، تثبت دراسة Richardson (2006) على العديد من الدول أن الأخلاق الضريبية لها علاقة سلبية مع التهرب الضريبي، أي أن المستوى الأخلاقي العالي للفرد تجاه الضريبة لا يقود بهذا الفرد إلى التهرب الضريبي. (أنظر المرجع الثاني).

## 5.2. تعقيد المدرك للنظام الضريبي

يزداد التعقيد نتيجة لتوسع الهيكل الضريبي والأوعية الضريبية، وبصفة عامة يزداد بسبب تعدد النصوص التشريعية المتعلقة بالضرائب. والتعقيد في النظام الضريبي يحمل بعدين أساسيين: التفاصيل المفرطة في القوانين الضريبية، وعدد العمليات الحسابية المتطلبة لتقدير الضريبة.

تعد التعديلات والإصلاحات المتتالية التي تهدف إلى تنظيم أفضل للنظام الضريبي لتحسين مردوديته هي التي أدت بدورها -بطريقة أو بأخرى- إلى التعقيد، ومن ثم أدت إلى ظهور بوادر التهرب الضريبي؛ فإن التغييرات التي تحدث في التقنيين الضريبي تؤدي بالنظام الجبائي إلى الغموض، وبالمكلف

إلى الخلط، مما يقود هذا الأخير إلى التهرب الضريبي المقصود أو غير المقصود. بالإضافة إلى الإصلاحات المتتالية، يصدر قانون المالية سنويا يقوم برفع وخفض نسب بعض الضرائب، ويقدم اعفاءات لفائدة فئات ما من حين إلى آخر، كلها عوامل فاعلة بدورها ساهمت في التهرب الضريبي.

مهما كان مصدر التعقيد من طرف المكلف، سواء في تقدير الضرائب أو في الإجراءات أو في النصوص التشريعية أو حتى في مقروئيتها، فهو يساهم في ادراك التعقيد لدى المكلف. وعلى هذا، من تحديات الإدارة الضريبية تبسيط القوانين المتعلقة بالضرائب والإجراءات الشكلية التي يجب أن يتقيد بها المكلف بالضريبة، لكن مع الحفاظ على التوازن بين التبسيط والتعقيد، لأن التبسيط قد يؤدي بدوره إلى إخفاء بعض الضرائب.

دراسة الباحث Richardson (2006) أثبتت في 45 دولة أن التعقيد الضريبي كما يراه المكلف بالضريبة هو أكبر محددات عدم الامتثال الضريبي، ويشير في مطلع دراسته "ولأن النظام الضريبي أصبح أكثر تعقيدا مع مرور الوقت، فإن الكثير من الدول المتقدمة في العالم، التعقيد أصبح المحدد الأكبر للهرب الضريبي". (أنظر المرجع الثاني).

## 6.2. تأثير الجماعة المرجعية

الإنسان هو عنصر من الوحدة الاجتماعية، لذلك سلوكياتهم هي بنسبة معتبرة ناتج التفاعلات مع أفراد الجماعة التي ينتمون إليها. ويعد تأثير الآخرين عاملا من العوامل المساعدة على التهرب أو الامتثال الضريبي. ويقصد بتأثير الأفراد اعتمد سلوك المكلف بالضريبة على سلوك نظرائه المكلفين أو المقربين إليه، وهم أساسا يتمثلون في الشركاء، وأفراد العائلة، والأصدقاء والزلاء في العمل<sup>14</sup>.

تأثير الجماعة المرجعية -وخاصة المقربين- على المكلف بالضريبة هي ظاهرة اجتماعية، وهو يعكس توقعات هؤلاء عنه فيما يخص الامتثال أو عدم

الامتثال للالتزامات الضريبية، فإذا كان الأفراد ذات الصلة الوثيقة بالمكلف بالضريبة يتهربون من الضرائب وينصحون بذلك فيكون هناك احتمال كبير لتقليد سلوكهم واتباع نصائحهم، وإذا كانوا لا يتهربون من الضرائب سيكون هناك أيضا احتمال كبير لتقليد سلوكهم. وتجدر الإشارة إلى أن الذين لا يمتثلون للالتزاماتهم يكون احتمال نشاط نقلهم لتجاربهم للأخريين أكبر من الذين يمتثلون.

أسفرت دراسة الباحث Chang وزملائه (2000) أن المكلفين بالضريبة يلتزمون بعدم الامتثال ما دام عدم الامتثال يتجانس مع توقعات ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها<sup>15</sup>.

## 7.2. التوجه الثقافي للمجتمع: بين الفردية والجماعية

الثقافة تعتبر من بين أهم العوامل البيئية التي تؤثر على التهرب الضريبي، فبالإضافة إلى القيمة الاخلاقية والمجتمعية السائدة في بيئة ما، يوجد عامل اجتماعي له دور في تفسير الامتثال الضريبي، وهو النهج الذي يتبعه الفرد في انجاز اعماله؛ الفردية (Individualisme) أم الجماعية (Collectivisme)، وهذا ما مثل طبيعة التوجه الثقافي لمجتمع معين.

يقصد بالفردية أن الفرد يعتمد على ذاته في إنجاز أعماله وفي بناء هويته، وهو يركز على حقوقه أكثر من التزاماته، وأغلب اهتماماته تتمحور حول ذاته وعائلته، ويفضل الاستقلال والإنجاز الذاتي. وأما الجماعية فهي عندما يعتمد الأفراد على بعضهم البعض في إنجاز أعمالهم وفي بناء هويتهم، يركزون على الالتزامات المتبادلة أكثر من الحقوق، ويعتقدون أن شخصيتهم هي جزءاً من المجتمع، وهم يميلون إلى التعاون والتأزر.

وبقدر تعلق الأمر بالتهرب الضريبي، فإن التوجه بالفردية والتوجه بالجماعية هما محددان أساسيان للتهرب الضريبي، وهذا ما يفسر لماذا بعض الدول يكون فيها مستوى التهرب الضريبي عالي، والبعض الآخر يكون فيها

منخفض. دراسة Chang وزملائه (2000) تثبت أن الثقافة لديها تأثير في جهود الامتثال الضريبي، فكلما توجه الفرد إلى الجماعية كلما كان ممتثلاً لالتزاماته، وكلما توجه إلى الفردية كلما كان أقل امتثالاً لها.

## الخاتمة

هدفت هذه الدراسة إلى تناول العوامل النفسية والاجتماعية المسببة للتهرب الضريبي بصفة منفردة. قد اتضح أن التهرب الضريبي ظاهرة سلبية، تتمثل في مقاومة المكلف بالضريبة التزاماته الضريبية، فهو عبارة عن سلوك موجه نحو التخلص من دفع الضرائب وعدم الامتثال للالتزامات باستعمال طرق احتيالية مشروعة وغير مشروعة.

من خلال ما سبق نستنتج النقاط التالية:

1. التهرب الضريبي يستنزف الخزينة العمومية، ويجعل الدولة عاجزة على ضمان الاحتياجات العمومية والاقتصادية للمواطنين بسبب ضعف الإنفاق العمومي. وبصفة عامة، مع تفاقم التهرب الضريبي بين أوساط الأفراد يصبح لا يمكن للدولة أن تحقق أهدافها الإقتصادية والمالية من الضريبة.
2. وعلاوة على المشاكل الإقتصادية، يسبب التهرب الضريبي أثارا نفسية واجتماعية تساهم بدورها في تفاقم هذه الظاهرة، مثل اللاعدالة وضعف الثقة في الإدارة الضريبية.
3. سلوك التهرب الضريبي يجعل الدولة تفقد مصدرا أساسيا من مصادر تمويل ميزانيتها، وهذا يعود إلى عدة عوامل، ومن بين أهم العوامل النفسية والاجتماعية تتمثل في الوعي الضريبي، فكما اقتنع المكلف بالضريبة بدفع الضرائب المترتب عليه وبضرورة مساهمته في الإنفاق العمومي كلما التزم بدفع الضرائب.
4. المستوى المعرفي للمكلف بالضريبة له دور في التهرب الضريبي، فالمعرفة الضريبية وخاصة تلك المرتبطة بإحاطة المكلف بمختلف جوانب وفرص التملص من دفع الضرائب فقد يؤدي بدوره إلى عدم الامتثال الضريبي.

5. كلما كان المكلف بالضريبة متشبعا بالقيم الأخلاقية ويشعر بارتكابه جريمة أثناء الغش أو التجنب الضريبي كلما امتثل لالتزاماته الضريبية.

6. إدراك المكلف بالضريبة أنه يتلقى من الخدمات والتجهيزات العمومية ما يعادل أو أكثر مما يترتب عنه من ضرائب كلما التزم بدفع أعبائه الضريبية، كذلك هو يقارن ما يدفع من ضرائب مع ما يدفعه نظرائه، فإذا كانت العلاقة غير متكافئة لصالحه فإنه يتبنى التهرب الضريبي.

7. إذا كان المكلفون بالضريبة يدركون أن النظام الضريبي الحالي يتسم بالتعقيد فإن احتمال تهريبهم من الضرائب يكون أكبر بالمقارنة مع من النظام الجبائي الذي تتسم قوانينه واجراءاته بالبساطة.

8. يتفاعل الفرد مع باقي عناصر الوحدة الاجتماعية التي ينتمي إليها، وهو يطابق سلوكه مع سلوكهم في الكثير من المواقف، لذا فإذا كان المكلفين بالضريبة ذات الصلة الوثيقة معه بدفع الضرائب لا يمثلون لالتزاماتهم الضريبية وينصحون بذلك، فكذا يكون سلوك المعني.

9. طبيعة الثقافة السائدة في مجتمع ما حول درجة اعتمادية الفرد على الآخرين في تحقيق ذاته يفسر التهرب الضريبي، فكلما اعتقد الفرد أنه جزءاً من الآخرين كلما تجنب التهرب الضريبي، وكلما اعتقد انه مستقل عنهم كلما تجنب الضريبة.

يضع الباحث مجموعة من التوصيات والتي تتلخص في النقاط التالية:

- توظيف السلطات الضريبية الطرق الإقناعية باستعمال وسائل الإعلام الجماهيري، بهدف تغيير الإتجاهات وتعزيز القيم الأخلاقية والمواطنة.



- تصميم السلطات الضريبية لسياسات تسمح برفع دخل المكلف بالضريبة عوضا عن تعقيد التدابير والإجراءات الإدارية للمكلف بالضريبة.
- تجسيد مبدأ العدالة الضريبية من خلال السهر على عدم إفلات الآخرين من أعبائهم الضريبية.
- إرساء نظام تحفيزات ضريبية بالنسبة للمتهربين لتشجيعهم على دفع ما ترتب عنهم، مثل تقديم خصومات وإلغاء الزيادات.
- توجه التشريع الضريبي إلى تبسيط قانون الضرائب وجعله في متناول المعنيين، وخاصة توضيح مختلف الإجراءات التي ينتهجها المكلف لحساب العبء الضريبي بنفسه، ذلك مع الحفاظ على التوازن بين التبسيط والتعقيد.
- رفع من مقروئية القوانين الضريبية من خلال التواصل المباشر بالمكلفين بالضريبة بعقد دورات تحسيسية، وأيضاً من خلال تقديم الدعامات الإخبارية على شكل مطويات وكتيبات.
- وعلى المستوى الكلي، فإنه لرفع من مصداقية الضرائب، يجب رفع جودة الخدمات العمومية المقدمة ليدرك المكلفون أن ما يقدمونه من التزامات (على شكل ضرائب) يعادل أو أقل مما يستلمونه كمقابل (على شكل خدمات عمومية).
- إنشاء برامج تعليمية لنشر الوعي الضريبي، بتركيز محتواها على إبراز دور الضريبة في رفع رفاهية المجتمع، وعلى تبيين كيفية إنفاق مختلف التحصيلات الضريبية في الأوجه الملائمة.

- توظيف شهادات الملتزمين بدفع أعبائهم، وشهادات قادة الرأي، وكذا تجارب الدول الناجحة في مجال الضرائب.

## الهوامش و المراجع:

<sup>1</sup> Molero, Juan Carlos and Pujol, Francesc. (2011). Walking Inside the Potential Tax Evader's Mind: Tax Morale Does Matter. *Journal of Business Ethics*, Vol.105, No.2 (January), pp.151-162.

<sup>2</sup> Richardson, Grant. (2006). Determinants of Tax Evasion: A Cross-Country Investigation» *Journal of International Accounting Auditing & Taxation*, Vol.15, pp.150-169.

<sup>3</sup> خالد الخطيب (2000) "التهرب الضريبي" مجلة جامعة دمشق- المجلد 16- العدد الثاني 2000، ص.ص.186-157

<sup>4</sup> علي زغود (2005) "المالية العامة" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2005، ص.ص.210-209

<sup>5</sup> James, Simon and Alley, Clinton. (2002). Tax compliance, self assessment system and tax administration. *Journal of Finance, and Management in Public Services*, Vol.2, No.2, pp.27-42.

<sup>6</sup> جمال طارق (2016) "ظاهرة التهرب من ضريبة الدخل في العراق" مجلة كلية بغداد للعلوم الاقتصادية الجامعة، العدد 48، 2016، ص.ص.394-377

<sup>7</sup> ناصر مراد (2003) "لإصلاحات الضريبية في الجزائر" مجلة الباحث، العدد 02، سنة 2003، ص. 29، ص.ص.32-24

<sup>8</sup> الحسون معين عباس (2013) "أثر الوعي الضريبي في تحقيق التنمية الاقتصادية"، مجلة القادسية للعلوم الادارية والاقتصادية، العدد 2، 2013، ص.144.

<sup>9</sup> سالم محمد عبود وعروبة معين عايش (2008) "العلاقة بين الوعي الضريبي والتهرب الضريبي وتأثيرها على التنمية" ورقة عمل مقدمة إلى الندوة العلمية الضريبية الأولى (2008/11/12) مركز بحوث المستهلك. 13ص

<sup>10</sup> Saad, Natrah. (2014). Tax Knowledge, Tax Complexity and Tax Compliance: Taxpayers' View » *Procedia - 2nd World*

- Conference On Business, Economics And Management- WCBEM (2013). *Procedia- Social and Behavioral Sciences*, No.109, pp.1069-1075.
- <sup>11</sup> Jackson, Betty R and Milliron, Valerie C. (1986). Tax Compliance Research: Findings, Problems and Prospects. *Journal of Accounting Literature*, Vol.5, pp.125-165.
- <sup>12</sup> Acclassato, Denis. (2015). Éthique et Evasion Fiscale au Bénin. *Éthique et économique*, Vol.12, No.2, pp.1-14.
- <sup>13</sup> Torgler, Benno., and K. Murphy. (2004). Tax Morale in Australia: What Shapes it and has it Changed Over Time? *Journal of Australian Taxation*, Vol.7, pp.298-335.
- <sup>14</sup> Chau, Gerald and Leung, Patrick. (2009). A Critical Review of Fischer Tax Compliance Model: A Research Synthesis. *Journal of Accounting and Taxation*, Vol.1, No.2, pp.34-40.
- <sup>15</sup> Chan, Cris W., Troutman, Coleen S and O'Bryan, David. (2000) .An Expanded Model of Taxpayer Compliance: Empirical Evidence from the United States and Hong Kong. *Journal of International Accounting and Auditing Taxation*, Vol.9, No.2, pp.83-103.